المحاضرة الثالثة: ديناميكية الجماعة

مقياس علم النفس المرضي الاجتماعي

طلبة السنة الثانية ماستر عيادي

الهدف من المحاضرة: تعريف الطالب بمفهوم ديناميكية الجماعة كأحد أهم المفاهيم في علم النفس والعلوم الإنسانية وتبيان دوره في بناء الجماعات.

من المعروف أن علم النفس الفردي الذي بلوره **فرويد ويونغ وأدلر** يتناول الظواهر النفسية الفردية الشعورية واللاشعورية، بينما علم الاجتماع الذي تأسس مع **أوجست كونت ودوركايم وليفي برول** يهتم بالظواهر الاجتماعية.

أما علم النفس الاجتماعي الذي هو في الحقيقة جزء من علم النفس فإنه يعنى بدراسة أثر الفرد في الجماعة وأثر الجماعة في الفرد كما يرتكز على دراسة الجماعة وتصنيفها وتبيان أدوارها وتفاعلاتها ووظائفها داخل المجتمع. وبالتالي، فهو بمثابة الدراسة العلمية للإنسان ككائن اجتماعي يعيش في مجتمع يتخذ له أصدقاء يتفاعل معهم ويتأثر بهم ويؤثر فيهم.

ويعتبر موضوع دينامية الجماعة من الموضوعات التي يتداولها فرع علم النفس الاجتماعي بالدراسة والتي تعتبر فرع من فروع علم النفس يهتم بالدراسة العلمية المنظمة للجماعة وتكوينها ونموها والتفاعلات القائمة بين أفرادها بغية الوصول إلى قوانين علمية لتنظيم مستوى الجماعة والمجتمع.

1/مفهوم ديناميكية الجماعة:

تتكون عبارة ديناميكية الجماعات من مفهومين أساسيين وهما:

- الديناميكية
- والجماعات.

استعير مفهوم الديناميك (Dynamique) من المجال الفيزيائي ، والذي يقصد به في مجال الميكانيكا مختلف العلاقات التي تكون بين القوى والحركات الناتجة عن هذه الأخيرة ، ويدل المصطلح على القوة والحركة والحيوية ونقيضه الثبات والسكون وتعني الديناميكية في المجال السيكواجتماعي مختلف القوى الإيجابية والسلبية التي تتحكم في الجماعة وتساعدها على التوازن و التطور والاندماج أو الانكماش والتشتت والتناحر.

كما أنها عبارة عن التفاعلات البنيوية الوظيفية التي تتحكم في نسق الجماعة، إذ كل تغيير يمس عنصرا فرديا داخل شبكة الجماعة ونسقها البنيوي فإنه يؤثر لا محالة على باقي العناصر الأخرى إما سلبا وإما إيجابا. وبالتالي فالديناميكية هي التفاعل النفسي والاجتماعي الذي يدور باستمرار داخل الجماعة بين أعضائها بشكل بنيوي ووظيفي.

فالديناميكية عبارة عن مثيرات واستجابات بالمفهوم السلوكي للتفاعل داخل الجماعة، فعندما يصدر عن فرد ما سلوك معين داخل الجماعة الواحدة يكون لهذا السلوك استجابات فورية من باقي أفراد الجماعة. ويعني هذا أن ديناميكية الجماعات عبارة عن قوى تفاعلية كيماوية تساهم في تحريك الجماعة وتغيير اتجاهات أفرادها وميولاتهم الشخصية وتطوير رؤاهم ونوازعهم الذاتية إيجابيا أو شحنها بمكونات سلبية تهدد تماسك الجماعة وانسجامها واتساقها الوظيفي كما هو شأن تفاعل عناصر

الدارة الكهربائية فيزيائيا.

ويرى **هولنبك Hollenbeck** بأن الديناميكية هي:" القوى التي تؤثر في العلاقات والتفاعل داخل الجماعة، والتي يكون لها تأثير في سلوك الجماعة، فقد تعمل الدينامية على تطور الجماعة وتقدمها وتنظيم العلاقات داخلها مما يحقق النمو في الجماعة أو قد تعمل على جمودها وتأخرها وقيام الصراع والتوتر في العلاقات بين أفرادها مما يؤدي إلى تدهور الجماعة وانحلالها".

ومن هنا، تنصب الديناميكية على مجمل التفاعلات البنيوية الوظيفية التي تحدث للجماعة والتي تؤدي إلى تغيير سلوكها والحفاظ على تماسكها وتوازنها أو تؤدي بها إلى النمو والتقدم أو إلى الاضمحلال والتخلف عبر عمليات تفاعلية مستهجنة كالصراع والانشقاق والتناحر والاختلاف الهدام. " فأعضاء الجماعة تتعدد أنماط سلوكهم، وتتفاوت ميولهم وعاداتهم واتجاهاتهم وقيمهم، وهذا يجعل المجال الدينامي للجماعة ينبض بالتفاعل والحيوية اللازمة لنمو الفرد ونمو الجماعة في نفس الوقت.

فمن خلال التفاعل الاجتماعي تحدث مثيرات واستجابات بين أفراد الجماعة كما أوضحنا، وتختلف هذه المثيرات والاستجابات باختلاف المواقف واختلاف الأدوار،إلا أن طبيعة التفاعل تكاد تكون متشابهة في كل الجماعات، وينتج عن التفاعل تقبل أو عدم تقبل، نبذ أو استنكار، تجاهل بين الأفراد، وصداقات ومودة، وتجاوب ونفور، وكراهية."...

وعليه، فالدينامية هي نتاج القوى الفردية والجماعية التي تتفاعل بطريقة حيوية داخل نسق الجماعة بشكل توافقي أو اعتراضي.(جميل حمدي، 2008)

وهي دراسة القوى المؤثرة داخل الجماعة، وتحتوي هذه الدراسة على اكتشاف التفاعلات بين الأفراد والجماعات والقوانين التي تحكمها وكذلك تركيب التفاعلات بين الأفراد وتأثيرها ليهم، من ناحية أخرى هي دراسة الأطوار الوجودية للجماعة، ظواهرها الداخلية والخارجية، تحديد الاتجاهات وشبكات الاتصال، المراكز والأدوار، درجات التماسك والتكامل، محاور الصراع والتنافس، طرق تحسيد الشعور الجماعي وتأليف مناهج التغير الاجتماعي يتوقف مصطلح ديناميكية الجماعة على:

*مجموعة المناهج التي تؤثر على الشخصية بواسطة الجماعة.

*مجموعة الوسائل التي تمكن جماعة أولية من التأثير على جماعات ثانوية أو موسعة

* ديناميكية الجماعة تحتوي المؤشرات التالية:

*تأثير الجماعة على سلوك أعضائها (دور الضغط اللاشعوري والمواقف النفسية المتبادلة).

* الحياة الوجدانية للجماعة (تعديل وتماسك الوجدان بين الأفراد والاشتراك في الخبرات المعايشة على مستوى لا شعوري).

2/ خصائص دينامكية الجماعة:

من أهم الخصائص التي تتميز بها دينامية الجماعات ما يلي:

1- يختص هذا الفرع العلمي بالبحث في الجماعات الصغيرة أي أن الجماعة يجب أن تكون صغيرة الحجم...، لأن صغر الحجم يؤدي إلى زيادة الاتصال والتفاعل بين أعضائها.

2- تهتم بدراسة الجماعة ككل دينامكي لا كمجموعة من الأفراد المتفرقين.

3- تهتم بالجماعات المتماسكة التي تتم التفاعل بين أفرادها بشكل مباشر وجها لوجه، يجب أن تكون الجماعة على درجة من التماسك ولها هدف واضح يربط بين أعضائها.

4- أن يكون للجماعة قيادة مهما ك ان عددها وحجمها.

5- الأخذ بمبدأ التغذية الراجعة في تقويم مسار الجماعة من خلال تحديد نقط القوة والضعف.

3/ محتويات ديناميكية الجماعة:

مجالات البحث والتطبيق المرتبطة به ديناميكية الجماعة عديدة وغالبا ما تكون متصلة ببعضها البعض ويمكن أيضا التركيز على عامل واحد لغرض دراسة معينة أو حالية.

من الاتجاهات الأساسية لديناميكية الجماعة ما يلي:

أ. التفاعل: ظاهرة التفاعل من المؤشرات الأساسية المساق تكوين وتحرك الجماعة. يقوم مبدأ التفاعل على التبادل الذي يحصل بين أفراد داخل خلايا اجتماعية مهيكلة أو جماعات لها طابع نظامي، الشكل العام للتفاعل هو الاستجابة من طرف معين إلى مؤثرات داخلية أو خارجية حيث يحصل التفاعل لما يصدر رد فعل لموقف معين يؤثر على الفرد.

الحياة الاجتماعية تعتبر حقل تفاعل من مستويات عديدة تجد فيها تنقلات وتبادلات تتبع أغراض غير واضحة في أول وهلة حيث يمكن التساؤل فيما يخلق الشعور بالجاذبية بين أشخاص دوي مقومات مختلفة.

نشاط الجماعة مرتبط مباشرة بعدد ونوعية التفاعلات وبشدة الاتصالات المشتركة. من الناحية الشكلية التفاعل هو تبادل بين أعضاء الجماعة ينقل ظاهرة حيوية ويمثل وحدة قياس لدرجات التضامن.

ب/ التماسك داخل الجماعة: يعتبر التماسك توحيد الشعور، الإدراك والاتجاه بين أفراد الجماعة وهذه الوحدة ناتجة عن جاذبية الجماعة على أعضائها حيث التماسك يخلق التقارب ويجعل الجماعة تتحرك ككائن واحد. تماسك الجماعة يتوقف على المحور الكيفي للانتماء.

ج/. القرار الجماعي:القرار ظاهرة إنسانية معقدة لها علاقة مع الإرادة ومبدأ الحرية. معرفة الدوافع التي تؤسس قواعد وحياة الجماعة مساق معقد له انعكاسات على مستويات عديدة (اجتماعية، عملية، سياسية، أخلاقية، الخ). هناك فرق بين القرار الفردي والقرار الجماعي.

وحسب معايير دينامكية الجماعة الأمر يختلف باختلاف المراجع الهيكلية التي القرار الفردي يخص مستويات من الاختيار المرتبط بالتنشئة الاجتماعية، مقومات الشخصية، عوامل المحيط وطبيعة الدور الاجتماعي أما القرار الجماعي فيميل نحو الطابع القانوني الذي يقيد ويسير السلوك العام.

يرى التحليل النفسي في ظاهرة القرار انطواء الأنا وامتثاله لفائدة الجماعة حتى يتحصل الأنا الأعلى على اكبر نفوذ وشرعية غير أن داخل الجماعة تصدر القرار أو تقترن به.

د/ مبادئ القيادة والسلطة: تنشئ علاقة السلطة تلقائيا مع تنظيم الجماعة التي بذاتها تنتج السلطة والتسلط) حيث أن تأليف مشاريع أو نشاط جماعي لا يتم بدون تحديد قواعد ومراقبة.

فمن هذه الناحية لا تظهر السلطة كنظام للتعسف أو الضغط على أفراد الجماعة بل كسلطة عادية مطابقة لإرادة الجماعة وتكمن وظائف السلطة في هناك هيا كل تلقائية داخل الجماعة حيث الأفراد ذوي التأثير الكبير تسيير تحرك وتفاعل الجماعة، مساعدة أخذ القرار، تحديد الأهداف الحقيقية، وكذلك توحيد و تسيير العلاقات والاتصالات الداخلية، تطوير التماسك وتعزيز المعنويات، تخفيض الضغوط والصراعات بين الأشخاص، حماية الوحدة الجماعية.

يتصدروا مراكز القيادة بينما يعتبروا الآخرون تابعين وهناك حالات الصراع حول القيادة تتأثر منها كل الجماعة.

داخل الجماعة (أو في مساق تركيبها) تخلق طبيعيا أدوار مختلفة ومنها الدور القيادي الذي يرجع لافراد معينين من طرف الآخرين وحسب حالة التخصص والمشاركة المتواصلة والعوامل الاسقاطية الموجودة (أو الناتجة) في شبكات الاتصال. حدد علماء النفس الاجتماعي مبدأ يدعى توزيع التأثير وهذا المصطلح يطلق على كيفية المشاركة لكل فرد داخل الجماعة. وحيث عنصر المشاركة يتميز كل فرد.

فالجماعة تبحث عن عامل التأثير الخاص أي اختيار مستوى من الوفاق حول شخصية (أو أشخاص) تنسب لهم مراكز وأدوار قيادية والتوجيه وتأسيس السلطة الشرعية. التأثير الخاص له طابع إعلامي واعتدالي وكذلك تقييمي ومن يصبح من صلاحيات القائد القيام بالمكافئة والعقاب..

يحدد العلماء ثلاثة متغيرات أساسية تخص فهم مواقف الجماعة اتجاه ظاهرة السلطات القيادية:

- طبيعية الهيكل الشكلي والهيكل السلمي للجماعة.

- الهياكل الشخصية وقدرة التأثير الوجداني.

- تاريخ ووقائع تكوين الجماعة.

إن الجماعة تعكس خصائصها الذهنية والوجدانية داخل الهيكل الشخصي للقائد. تحدد وظائف رئيسية للقائد منها:

- التنظيم الفعلي للجماعة نحو القيام بمهامها.

- تحديد وتعريف المواقف التي تعيشها الجماعة.

- التركيز على أوضاع التماسك الداخلي.

- ترقية القيم والمبادئ التي تقوم عليها الجماعة.

- تمثيل الجماعة أمام الهيئات الخارجية.

- معالم الصراع والتكافؤ داخل ديناميكية الجماعة.